التزيين المعنوي في التعبير القرآني

الكلمات المفتاحية : التزيين ، المعنوي ، القرآني

البحث مستل من أطروحة دكتوراه

باسم محمد علي السامرائي
Dr.basim.alsamrrail@gmail

أ. د. مريم محمد جاسم حميد المجمعي **أ.م .د. عبد الوهاب حسين خلف الجبوري**

جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الانسانية **جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الانسانية**

Meriam_mohmed@yahoo.com **abdalwahhab987@gmail.com**

الملخص

هذا بحث بلاغي يتطرق إلى التزيين المعنوي في التعبير القرآني لآيات الزينة والجمال في القرآن الكريم ، والكشف عن التصوير البلاغي في التزيين المعنوي ودلالته وتوظيف تلك الصورة لإعمال الفكر واتساع الخيال في ملكوت من يقول للشيء كن فيكون ، الذي رفع سبع سماوات وزينها بزينة الكواكب .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين .

وبعد : فإن دراسة (التزيين المعنوي في التعبير القرآني) يتطلب سبر أغوار المزايا في الأسلوب القرآني وقدرته على التعبير بوضوحٍ وقوةٍ عن قضايا مهمة ومدلولات ضخمة باتساع أفق ، وبعد نظر ، ومدلولٍ للعبارة أوسع ، وتصوير للمشهد أدق ، ليقودنا ذلك كلهُ إلى نتيجة حتمية واحدة ، تلك هي : أن الذي جمع في القرآن ، الإجمال والبيان ، هو الله الواحد المنان الذي أنزل هذا القرآن.

وقد اختار الباحث عينات للبحث تخص دلالات التزيين المعنوي وأساليب التعبير القرآني لبيان قدرة الأسلوب القرآني على الإقناع والإمتاع التي فاقت ما وصل إليه العقل البشري الذي يتجدد فكره وفهمه وعاطفته مع كل جيل من الأجيال بما يؤكد سرّ وديمومة عطاء هذا الكتاب المبارك وسحر بيانه وتعلق القلوب به ، فسبحان من أنزله وجعل فيه شفاء لما في الصدور.

إن ميدان عمل البحث يعتمد على الخيال والابتكار والمشهد وليس آيات الألفاظ فحسب ، وتقوم هذه الدراسة على خمسة مباحث مع تمهيد وخاتمة ، تحدث التمهيد عن التزيين المعنوي وبراعة التعبير القرآني ولا سيما في آيات الزينة والجمال وما تكَشّفَ عنها من أنساق جمالية ، وفيما يأتي عناوين المباحث : (أولا : التعبير القرآني وأثره في القرآن الكريم – ثانيا: خصوصيات التعبير القرآني – ثالثا : التزيين المعنوي في آيات الزينة والجمال – رابعا : أساليب التعبير القرآني – خامسا : نماذج من التزيين المعنوي بصراحة المعنى واللفظ) .

وقد أفاد البحث من كتب التفسير والحديث النبوي فكلاهما يحفلان بمباحث وملاحظات علمية كثيرة وفاعلة ، وقد سبقت البحث دراسات بحثت في هذا المجال ، منها ما تحدّث عن زينة المرأة كما في كتاب (المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم) أ.د. عبد الكريم زيدان ، وكتاب (زينة المرأة في الشريعة الإسلامية) لعبير أيوب الحلو، واطلعت على بعض المقالات والبحوث الالكترونية. ووقف البحث عند أمهات الكتب ، والمصادر ، وفي مقدمتها كتب تفسير القرآن الكريم ، وكتب الحديث الشريف ، وكتب اللغة والبلاغة والفقه .

ويهدف البحث إلى الوقوف على مواطن التزيين المعنوي والكشف عن مكنونات جماله واتساقه ووقعه وتأثيره على المتلقي ، والمنهج المتبع هو (منهج التحليل البلاغي) الذي يقترن في بعض إجراءاته من المنهج الأسلوبي.

وتكمن مشكلة البحث الموسوم بـ (التزيين المعنوي في التعبير القرآني) في وجود لمسات بيانية وأساليب بلاغية تتعلق بآيات الزينة والجمال وهو من بين الإشراقات القرآنية التي تظهر بلاغة هذا الكتاب المعجز الذي لا تنقضي عجائبه .

التمهيد : باتجاه تأصيل مفهوم التزيين المعنوي

القرآن هو كلام الله القديم ، منزل غير مخلوق ، أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾ إبراهيم : ١

إن الاشتغال بالقرآن يقيناً هو من أفضل العبادات التي يجزل اللهُ العطاء فيها عن كل حرف حسنة ، عن عَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)) [١] وفي كتاب الله العزيز ما يعزز الإيمان في قلوب المسلمين ، يقول سيدنا رسول اللَّهِ محمد صلى اللَّه عليه وسلم ((أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ ،

وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) [٢] .

أن صيغ التلون في التعبير القرآني تُضفي جماليته البديعة ، ويبدع في عرض الأساليب البلاغية ، ففي أسلوب الترهيب ، تارة يكون بالوعيد ، وتارة يكون بالزجر ، وتارة يعرض مشهداً من مشاهد القيامة ، والأسلوبية كمنهج تبوأت المكانة المرموقة في الدراسات اللغوية التي اهتمت بتحليل النصوص ، وأنها جمعت بين المنهج العلمي في دراسة اللغة والمنهج النقدي في دراسة وتحليل النص الأدبي ، ذلك يستدعي من الباحث تتبع الظواهر الأسلوبية في آيات الزينة والجمال واستخراج المعاني البلاغية المرتبطة بها كالتكرار والاستفهام والتصوير الفني والتشبيه والاستعارة ، ولرصد جماليات النصوص بالاعتماد على جمال لغة القران الكريم وأدواته الفنية .

أولاً : التعبير القرآني وأثره النفسي :

يُجْمِعُ أهلُ العلم على أن التعبير القرآني له خصوصيته وعلوه وإنه قد بهر فطاحل الشعراء والأدباء والمتكلمين فعجزوا عن مداناته والإتيان بمثل آية منه وأعلن تحديه لهم وأعلنوا عجزهم أمام علو مرتبته وسمو نظمه. ومن أسرار أنوار هذا الكتاب الكريم أنه كان يأخذ بمجامع قلوب البشر وإن لم يؤمنوا به (فقد كان

أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق كلٌ يأخذ نفسه خِلْسةً لسماع القرآن في الليل من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٣]. وقد أخبر الله نبيه بهذا الأمر فقال سبحانه من قائل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ الإسراء: ٤٧.

وهذا الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ليُجمعوا على رأي واحد يصدرون عنه يقولونه للناس في الموسم حتى يصرفوا الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن دعوته لكن إرادة الله هي المنتصرة وهي الغالبة ، فقال أحدهم نقول عنه : إنه شاعر ، وقال الثاني نقول عنه : إنه كاهن ، وقال الثالث نقول عنه : إنه ساحر ، وقال الرابع نقول عنه :إنه مجنون ، فانبرى الوليد بن المغيرة مفندا ومسفها آرائهم بقوله: والله إنَّ لقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو وما يُعلى عليه، وقوله هذا يقودنا إلى القول أن التعبير القرآني تعبير فني مقصود ، رقيق حلو لدى القارئ والسامع ووصفه (مثمرا أعلاه) ((هو اللحن المختوم في الفواصل التي تتخذ لها أردافا من المدود غالبا ، ووصفه(المغدق أسفله) : هو الموسيقى الداخلية المبثوثة فيما قبل الفاصلة ، تلذّذ الأُذُنُ في النطق والسمع)) [٣] .

ولو تتبعنا كل لفظة ، بل كل حرف في القرآن الكريم لوجدنا أن كل حرف وُضِعَ وضعاً فنياً مقصوداً، ولم تُراعَ في هذا الموضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل رُوعي في هذا الوضع التزيين المعنوي في التعبير القرآني كله وهو مقصدنا في هذا البحث.

ثانيًا : خصوصيات التعبير القرآني :

إن القرآن الكريم ، الذي أنزل بلسان عربي مبين ، له خصوصيات في استعمال الألفاظ ، زيادة في الإيضاح ، ودلالة على جمال التعبير ، ودقة الصياغة ، إن القرآن الكريم يعطي مَنْ نظر فيه وتدبر آياته خزائن العلم المكنون بغير حساب ، ويفتح الله على الناظر فيه من ألطافه ما يَجِلُّ عن الوصف فهل ندرك سر قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤ ، ومن ذلك :

أ- استخدم لفظ ﴿ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ بما ينفع الناس قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة: ١٦٤ .

ب - استخدم لفظ الـ ﴿ رِيحٍ ﴾ في الإشارة إلى عواقب الظلم الوخيمة وآثاره الأليمة الشر، فقال تعالى ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ آل عمران: ١١٧

ت - استخدم لفظ الـ ﴿ ٱلرِّيَاحَ ﴾ لتكون بشرى خير ورحمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾سورة الروم : ٤٦ .

ث - استخدم لفظ ﴿ وَعُيُونٍ ﴾ للتعبير عن عيون الماء وجاء هذا الإستخدام في عشرة مواطن في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة الحجر : ٤٥ ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾ المرسلات: ٤١ ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ الكهف: ١٠١ .

ج - استخدم لفظ ﴿ يُوصِيكُمُ ﴾ للتعبير عن الأمور المادية والاحتكام إلى شرع الله فقال تعالى ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١١ .

ح - استخدم لفظ ﴿ يُشَاقِقِ ﴾ استخدامها القرآن استخداماً خاصاً في إظهار غاية الإكرام لنبي الملك العلام ؛ فأينما ذكر النبي الهادي صلى الله عليه وسلم فك الإدغام ، وحيثما لم يرد ذكره صلوات الله وسلامه عليه بل ورد ذكر الله تعالى وحده ادغم ، وحيث ورد ذكر الرسول فك الإدغام. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ الأنفال: ١٣ .

ثالثًا : التزيين المعنوي (في آيات الزينة والجمال) :

في القرآن الكريم ، ورد لفظ (جميل) و (جمال) في ثماني آيات ، سبعة منها تحدثت عن الجمال المعنوي ، وموضع واحد تحدّثَ عن الجمال الحسّي ، والجمال الحسّي ناطق بتوحيد الله ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ النحل : ٦ ، صورة الجمال عندما تحسّ به النفس البشرية فيملأ جوانبها سعادة ومسرّة ، وغاية الجمال في تقديم الرواح على السروح، مع أنّ الواقع عكس ذلك ؛ لأنّ الإحساس بالجمال والمتعة بالأنعام عندما تعود من المرعى ممتلئة شبعى أكثر من الإحساس بها وهي ذاهبة غرثى ، وهذه هي الآية الوحيدة التي تتحدّث عن الجمال الحسّي بلفظ الجمال الصريح ، وفي الحديث يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم:((لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)) [٤] .

وفي القرآن آيات تحدّثت عن الجمال بغير لفظه ، ففي وصف مراحل خلق الإنسان ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ المؤمنون:١٤ ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ الانفطار:٦ ـ ٨ ، وقال عزّ من قائل ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ التين:٤ ، وعن جمال السموات والأرض قال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ ق:٦-١١ .

فنلمح من مظاهر الجمال التي أبرزتها الآيات كلمة ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ أظهرت ملمحًا جماليًا بارزًا من ملامح الزينة والجمال ، ذلك هو بناء الكون ، ففي اتساقه وتكامله مظهر جمالي يسر الناظرين ،ونظير هذا قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ الملك: ٥ ، فتناسق الخلق، والتنائي عن العَيب، مظهرٌ أصيلٌ للجمال، إنَّ تزيين السماء بالنجوم والكواكب يجعل هذا الجمال مقصدًا للمتأملين ، وبنحو الذي ذكرنا قوله عزّ من قائل﴿ إِنَّا زَيَّنَّا

ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾ ﴾ الصافات: ٦ – ٧ ، وفي قوله تعالى﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأعراف: ٣١ – ٣٢ ، يعرض القرآن الكريم رعايته للحاجات الإنسانية الدنيوية ، ويكشف البيان القرآني عرض صورة جمالية واضحة أباحت ما أحله الله لعباده وأنكرت فعل من أدعى خلاف ذلك .

أشار القرآن الكريم إلى الجمال المعنوي ، مقروناً بمختلف سلوكيات البشر، فقد اقترن الجمال بالصبر، كما اقترن بالصفح ، واقترن الجمال بسراح المرأة من عصمة الزوجية ، واقترن بالهجر.

ومعلوم إنّ الصبرَ يكسوا الوجوه بآيات الجلال والكمال ما لا يحيط به الوصف ، ويملأ النفوس أملا ويقينًا ورجاءً أن الله يجزلها الثواب ، وتحدث القرآن عن الصبر الجميل في موضعين ، وفي سورة واحدة هي سورة يوسف: الأول: على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام ، حين جاءه أبناؤه يخبرونه بأنّ يوسف أكله الذئب ، قال تعالى﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يوسف: ١٨ .

الثاني: أيضًا على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام ، يوم بلغهُ نبأُ احتجاز بنيامين شقيق يوسف في سجن العزيز بمصر، برزَت صورة الصبر الجميل على محيّا النبي الجليل فقال﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ يوسف:٨٣.

إنّ اقتران الجمال بالصفح ، من صفات الصالحين ، العافين عن إساءات المسيئين ، غرسه الله في نفوس الأنبياء والأولياء والدعاة والصالحين فقال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الحجر:٨٥.

يتجلى الجمال في الصبر والصفح معًا حين ننظر إلى إساءةِ المشركين إلى رسول رب العالمين ، الذي أمر نبيّه أن يعاملهم بالهجر الجميل مقرونًا بالصبر، لعلهم يَشعرون بسوء تصرّفهم وتجبرهم ، فقال تعالى﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ ﴾ المزمل:١٠ .

وبنحو الذي قلنا ، يتجلى الجمال المقترن بالصبر في سراح المرأة (الطلاق) وأجلى صوره تخيير النبي الهادي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأزواجه ، فقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ ﴾ الأحزاب: ٢٨ .

وكذا الحال للذين لا يمكن لهم أن يستمروا في حياة زوجية شابها التنافر والتباعد فأباح له التسريح (الطلاق) شريطة أن لا يغبنوا حقوق الزوجة ، قبل إيقاع التسريح دون ظلم ، فقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩ ﴾
الأحزاب:٤٩.

إنَّ مقاييس الجمال في القرآن الكريم واعتباراته، صوّرت معايير الجمال المادي والمعنوي، وبرّزت السجيّة التي ينبغي أن يتحلى بها أتباعُ هذا الدين والمقتفون لأثر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

رابعًا : أساليب التعبير القرآني :

إن للقرآن الكريم طريقة موحدة في التعبير ينتهجها في أداء جميع الأغراض على السواء حتى في أسلوب البرهنة والجدل ، تلك هي ((طريقة التصوير التشخيصي بوساطة التخييل والتجسيم)) [٥] ، وإن إعجاز القرآن الكريم كامن في بلاغته وأغراضه ومعانيه وطريقة أداءه مجتمعين لا مفترقين كما قد يتوهم من يفرق بين هذه الأغراض ((إن الطريقة التي أتبعها القرآن الكريم في التعبير هي التي برّزَتْ هذه الأغراض والموضوعات فهي كفاءُ هذه الأغراض والموضوعات)) [٦] ، ومن اللفتات القرآنية البديعة في القرآن الكريم والصياغة الأسلوبية المميزة على سبيل المثال لا الحصر في قوله تعالى: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ ﴾ الزمر: ٦٩ .

خامسًا : التزيين المعنوي بصراحة اللفظ والمعنى :

الصورة الأولى : قوله تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ الكهف : ٤٦.

في النص خبر ابتدائي في قوله﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ ﴾ وعبر عن تمام الزينة في اجتماع المال والبنين ، والخبر الابتدائي المخاطب فيه خالي الذهن من الحكم الذي يتضمنه الخبر ولا يحتاج المتكلم لاستعمال أي أداة من أدوات التوكيد . وخبر الابتداء في التثنية والإفراد إنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا لان في المال جمالا ونفعا ، وفي البنين قوة ودفعا ، فصارا زينة الحياة الدنيا ، لكن مع قرينة الصفة للمال والبنين ؛ لانَّ المعنى المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم ، وفي النص رد على عيينة بن حصن ومن على شاكلته ، المفاخرين بالأموال وبالجاه وكثرة العشيرة ، فأخبر المولى تبارك وتعالى أن ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو متاع الغرور وإنّه إلى زوال لا محالة (٧) .

إنّ منطق الحكمة والعقل ، يحتم على المبصر الواعي مراعاة التوازن في النظر إلى الدنيا، وخير متاعها المال والبنون ، وبين الآخرة، وفيها جزاءٌ وخلودٌ باقٍ ، وإن المال يفنى ، والأولاد قد يكونوا أبرار وقد يكونوا عاقين ، يقول تعالى يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ الأنفال: ٢٨، ويقول سبحانه ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ التغابن:١٤.

فما هو الباقي ؟ وما هو المفيد ؟ إنّ الخيال يتسع في أفق مشهد تذرف له الدموع ، والصورة المتحصلة أنّ الإنسان عائد إلى ربه وحيداً لا يرافقه إلا العمل الصالح ، قال تعالى ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ ، أي : ما يأتي به فقراء الصحابة كـ (سلمان ، وصهيب ، وفقراء المسلمين) من الطاعات ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ أي أفضل ﴿ وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ أي أفضل من ذي المال والبنين دون عمل صالح .

يرى الطبري(ت ٣١٠ ه) : في تعليقه على قوله تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فيقول((وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله، ودعائهم ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه، الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء

الحياة الدنيا، خير يا محمد عند ربك ثوابا من المال والبنين التي يفتخر هؤلاء المشركون)) [٨] .

معلوم أن المال والبنين يحرك في النفس بواعث الأمل في الحياة فجاء لفظ ﴿ أَمَلًا ﴾ في سياق النص لمناسبة معنى الآية والإقرار أن الباقيات الصالحات هي ما يؤمل به عند الله تعالى وليس المال والبنون ، وهذا ما ذهب البغوي (ت ٥١٦ هـ) : إليه في معرض حديثه عن قوله تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فيقول : إنّ((المال والبنون التي يفتخر بها عتبة وأصحابه الأغنياء (زينة الحياة الدنيا) ليست من زاد الآخرة ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعها الله لأقوام)) [٩] .

إن السياق القرآني يتكلم على يوم القيامة ومشاهده وموقفه وأهواله ، فجاء السياق القرآني منبهاً أنّ ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ وهي زائلة وفانية ، ومذكراً ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ هي المنجية ، وهي المُكْرِمَة وجاءت بهذه الصيغة لمناسبة سياق الآيات .

وإنّ وجوه الإعجاز كثيرةٌ ومنيرةٌ ، وكل وجهٍ من وجوه الإعجاز هو علم قائمٌ بذاتهِ ، وذاك التلاؤم والاتساق وجمال النظم المنتظم بأقصر العبارات في اختصارٍ غيرُ مخلٍ ، ولا ضعف ممل ، فيه حركة وتأثير ، وجمال وتصوير.

الصورة الثانية: قوله تعالى﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ النمل: ٦٠.

في النص الكريم ، ذَكَرَ سبحانه المشركين به من قُريش : أعبادة ما تعبدون من الأوثان خير ، أم عبادة من خلق السماوات والأرض ؟ وذكرهم تعالى ذكره أنه مَنْ أنزل الماء﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ ﴾ يعني بالماء ﴿ حَدَآئِقَ ﴾ وهي جمع حديقة، والحديقة: البستان عليه حائط محوّط . وقوله ﴿ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ يعني: ذات منظر حسن. وقوله تعالى ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ فيها الألتفات ، وجاءت بعد قوله ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ وهذا انتقال في نقل الخبر

من حال الغيبة إلى حال التكلم عن ذاته في قوله ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾ وهو التفات من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة ، لتأكيد اختصاص الفعل بحكم المقابلة بذاته تعالى وللإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف وما يبدو فيها من مختلف الألوان وجمال أشجار الثمار وطيب فاكهتها وما أنبتت ، كل ذلك لا يقدر عليه إلا قادر خالق وهو الله وحده، ولذلك رشح هذا الاختصاص بقوله بعد ذلك ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾.

يرى الطبري (ت ٣١٠ هـ) : في معرض تعليقه على قوله تعالى﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يقول ((يعني مطرا، وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التي فجَّرها في الأرض؛ لأن كل ذلك من خلقه ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾ يعني بالماء الذي أنزل من السماء﴿حَدَآئِقَ﴾ وهي جمع حديقة، والحديقة: البستان عليه حائط محوّط، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة. وقوله﴿ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ يقول: ذات منظر حسن)) [١٠] . وترى بنت الشاطي(ت ١٤١٩ هـ) : في معرض تعليقها على قوله تعالى﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ ،

فتقول ((وليس في القرآن من المادة، غير هذه الكلمات الثلاث. واضح أن تفسير الحدائق بالبساتين، هو من التفسير بمعرَّبٍ من لغة أخرى. فالبستان فارسي معرب ، ولم يستعمله القرآن . والعربية تستعمل الحديقة، فيما يُحدِق به بناء، من شجر أو نخل، ثم شاع إطلاقه على القطعة من النخل توسعاً بملحظٍ من إحداقه بها)) [١١] .

إنّ الصورة البلاغية تفضي إلى إماطة اللثام عن عرض مشهد الحشر وما فيه مِنْ هولٍ فزع ، لِمَنْ لم يلق السمع وهو شهيد ، أولئك الذين أقيمت عليهم الحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة ، وأقروا أنّ مَنْ أنبتَ ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ إنما الذي أنبتها هو الله ، والذي يحاسبكم بعد عنادكم وكفركم برغم أقراركم أنه سبحانه الخالق الرازق لكنكم كفرتم بنعمه وجحدتم فضله فتعسا لكم .

إن القرآن الكريم أبعد ما يكون عن التركيز على البهرجة اللفظية، مع أنها عند البشر وسيلة جمالية لتحسين اللفظ ، فالألوان البديعية ، كالمقابلة ، والجناس ، ومراعاة النظير، ونحوها لا تذكر في كتاب الله إلا كملحظ بياني يوضح المعنى ويقويه وسلامٌ على عباده الذي اصطفى.

الصورة الثالثة : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ فاطر: ٨

في النص الكريم ، إنشاء طلبي ، الاستفهام بالهمزة في قوله﴿ أَفَمَن زُيِّنَ ﴾ ، إنّ أخوف شيء على الإنسانِ المؤمن أنْ ينقلب قلبه ، فإذا انقلب القلب وانتكس فهمه وأصبح يرى سوء العمل حسناً ، ويرى الضلال هدى ، فذلك هو الخسران المبين ، وإلى ذلك يذهب ابن كثير(ت ٧٧٤ هـ) : في معرض حديثه عن قوله تعالى قائلا ((أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ ، يَعْنِي كَالْكُفَّارِ وَالْفُجَّارِ يَعْمَلُونَ أَعْمَالًا سَيِّئَةً وَهُمْ فِي ذلك يعتقدون ويحسبون أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)) [١٢] ، ومما ينبغي النظر فيه أنّ كل مكلف من الناس زُينَ لهُ عمله الذي يقوم به ، سواء كان ذلك العمل دنيويٌ أم أُخرويٌ ، فكل يرى عمله من زاويته التي يبصر بها مصداقا لقوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٨ ، وبذلك يرى أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ ه) : إنّ في معرض تعليقه على قوله تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ وقوله: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾ يقول ((وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ)) [١٣] ، الإنسان الفطن يبصر من ساءت أعمالهم بتزيين الشيطان ذلك لهم ، فيشمر عن ساعده ، ويخشى الانزلاق إلى مهاوي الشيطان ، فيحث الخطى ويجتهد في الطاعة متقلبا بين مقامي الخوف والرجاء ، وصولا إلى رضا المولى القدير .

الصورة الرابعة : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ هود: ١٥.

في النص استفهام إنكاري﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ والمعنى: قد بلغ الجهد فيك من تبليغهم ، أنهم يتوقعون منك ترك التبليغ ، ﴿ وَزِينَتَهَا ﴾ الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة، يقال زانه يزينه زينة وزيّنه يزينه تزيينا ،

﴿ نُوَفِّ ﴾ : التوفية تأدية الحق على التمام. ﴿ يُبْخَسُونَ ﴾ : البخس نقصان الحق وكل ظالم باخس . وفي المثل كقول العَنْبَر من تميم : ((تحسبها حمقاء وهي باخس)) (١٤)

تجلى جمال التزيين والتعبير في بيان صورة زاهية إقترن كشف ملامحها بالتزيين المعنوي ، إنّ التزيين المعنوي الذي حفلت به النصوص القرآنية تجعل المتأمل في هذا التصويرَ البليغ يرى حقيقةَ الدنيا ومآلها ؛ كَيْ لا يصبِحَ الناس عبيدًا لها، إنّ جمال الصورة وسلاسة التعبير ورصانته ، ودقة العبارة وتأثيرها ، وسحر البيان وإعجازه ، أسرَ قلوباً فآمنت وصدقت بإتباعها .

وإنّ الوضوح البياني يكمنُ في أعماقه سراً قرآنياً يلتمس خيوطه الآسرة ، العارفون الصادقون عبر إيحاءات وإشارات خفية ، ودلالات توحي بأكثر من معنى ، تستقبلها قلوب بالقرآن وحبه متعانقة متألقة ، فتبارك الله رب العالمين.

الصورة الخامسة : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ الأعراف: ٢٦.

في النص ملمح بلاغي جميل ، عَدَلَ القرآن الكريم عن ذِكر إنزالِ المَطرِ الذي به تُرْوى الأرض فيكسوها الزرع ، والبهائمُ التي يُتخَذُ من أشعارِها وأوبارِها المَتاعُ واللّباسُ، عدلَ عن ذلك كله إلى اللّباسِ مُباشرةً، إدماجاً للامتنان في الاستدلال، وأدمَجَ اللباسَ في المَطَر ليشيرنا أنّ المَطر يحيي الأرض بعد موتها.

وفي النص قياسُ تَمثيل ، بمعنى : أنكم بسبب المطر النازل من السماء ، ترزقون الكسوةَ واللباسَ الساترَ الواقيَ . وزيادةً في التشويق والإهتمام بمكان السبب ، فقد ذكر السياق القرآني اللباسِ وحذف السبب ، وقد كان ذلك اللّباسُ الذي نزل به آدم هو أصل اللّباس الذي يستعمله البشر ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴾ إشارةً إلى أنّ اللّباس من أصل الفطرة الآدمية ، والفطرة أوّل أصول هذا الدين ، وفي هذا تعريض بالمشركين الذين ابتدعوا ما لم ينزل به الله سلطانًا ، إذ فرضوا على الناس نزع لباسهم بأن يحجّوا عُراة ، وزعموا ومن حالفهم بوجوب التعري في أداء مناسك الحج واعتبروه من القربات الدينية إذ ((كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس و(الحمس : هم قريش وما ولدت) فكان

غيرهم يطوفون عراة إلا أن يعطيهم(الحمس) ثيابا فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء)) [١٥] .

ومتابعة للخطاب الوارد في سياق قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ﴾ وهي بمنزلة نتيجة من جدل حسمه قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ ﴾ الأعراف: ٣١ - ٣٢. وقدمت لتكون غرضا وهي طريق من طرق الإنشاء ، وفي ترتيب المعاني ونتائجها ؛ مفصحا عن واقع مستهجن ومستنكر ، وساعيًا لإبطاله ورده ، إنّ جمال التعبير القرآني ، حرّك الساكن في عقول المتلقين ، وأيقض الهمة في نفوس المؤمنين ، أنْ لا ابتداع في الدين .

الصورة السادسة : قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾ النور : ٣٥.

في النص جملة خبرية في قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ وفيها إقرارٌ بالربوبية لله الواحد الأحد . فالإخبارُ عن الله بأنه نور هو إخبارٌ بمعنى مجازي للنور ولارتباطه بالعقيدة الإسلامية فهو سبحانه وتعالى ليس مجسم وفي هذا إثارة للحس والعقل .

والنور في هذا النص هو رمز لعدة معانٍ كلها تأخذ دلالةٍ إيجابية مستمدة من المعنى الحسي للنور ، وفي ذلك يرى الطبري (ت ٣١٠ هـ) :في معرض حديثه عن قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فيقول إنه سبحانه وتعالى ((هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، و بهداه من حيرة الضلالة يعتصمون)) [١٦] ، نلحظ إنّ في النص الكريم صورة تشبيهية تمثيلية مركبة من عدّة صور جزئية تتضح فيها أركان التشبيه الأربعة (المشبه ، المشبه به ، أداة التشبيه ، وجه الشبه) وإلى ذلك يذهب ابن عاشور(ت ١٣٩٣ هـ) : في الإخبار

عن النور قائلا ((المثل : تشبيه حال بحال ، ومعنى ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ يعني : شبيه هديه حال مشكاة ، فلا حاجة إلى تقدير : كنور مشكاة ؛ لأن المشبه به هو المشكاة وما يتبعها ، وقوله﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾المقصود كمصباح في مشكاة . وإنما قدم (المشكاة) في الذكر ؛ لأن المشبه به هو مجموع الهيئة ، فاللفظ الدال على المشبه به هو مجموع المركب المبتدئ بقوله : (كمشكاة) والمنتهي بقوله﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ فلذلك كان دخول كاف الشبه على كلمة﴿كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ دون لفظ ﴿مِصْبَاحٌ ﴾ لا يقتضي أصالة لفظ مشكاة في الهيئة المشبه بها دون لفظ (مصباح) ، بل موجب هذا الترتيب مراعاة الترتيب الذهني في تصور هذه الهيئة لمتخيله حين يلمح الناظر إلى

انبثاق النور ثم ينظر إلى مصدره فيرى مشكاة ثم يبدو له مصباح في زجاجة) [١٧]

إنّ أسلوب الجملة الخبرية أفاد لاحتواء النص الكريم على ثلاثة صور تشبيهية :

الأولى : شبه (نور الله) بالمشكاة المقترن بالمصباح

الثانية : المشبه به (كوكب دري) فيه استعارة .

الثالثة : المشبه به (كأنها كوكب دري) كناية عن شدّة الضوء.

إن القرآن الكريم معجز بأسلوبه ونظمه الفريد البديع ، وإن هذا الأسلوب هو مادة ذلك الإعجاز، ولا ريبَ أنّ ورود الأسلوب على نسقٍ وصورةٍ خاصة تختلفُ عن ما عرفه العرب سابقاً من أساليب البيان ، هو الذي ميّزَ ذلك الأسلوب وحرّك المشاعر، وسلب لُبَ القلوب ، وسالت لروعته دموع المحبين ، وزلزلة بلاغة آياته قلاع قلوب الكافرين ، وانعقدت أمام جماله ألسنة أساطين البلاغة وفحول البيان ، وأقروا بذلك صاغرين ،

إنّ التزيين المعنوي برّزَ صورة الجمال وأطلق الفكرَ والخيال ليجوب في ملكوت جمال صنع الله المتعال ركّزَ أبو حيّان التوحيدي(ت ٤٠٠ هـ) : على الجمال المعنوي ، ويضع العقل معيارا لفهمه، وبّسَطَ القول على صفات الله قائلا: ((وهي من الحسن في غاية لا يجوز أن يكون فيها وفي درجتها شيء من المستحسنات، لأنها هي سبب كل حسن، وهي التي تفيض بالحسن على غيرها)) [١٨] ، ويأتي التزيين المعنوي ، بتلاؤم حروف آياته، وجمال تناسق وصفه ، لتصور جمال كمال معالم الأعجاز في كتاب الله العظيم المؤثر في

نفوس المتلقين((ذلك أن تصوير الأمر المعنوي في صورة الشيء المحسوس يزيده تمكّنا من النفس)) [١٩] .

الخاتمة

ورست سفينة بحثنا التي أبحرت في بحر الأسرار والأنوار ، بحر الحكمة والموعظة الحسنة والشفاءُ لما في الصدور ، خَلُصَ البحث إلى النتائج الآتية

أولاً : كشف المستوى الصوتي الذي نراه قويا ومقصوداً ومضبوطاً تأثير الخيال في المتلقي وهكذا هو المستوى الدلالي والتركيبي ومن بعده مستوى الصورة وتركيبها الفني،

ثنيًا: من بين أساليب القرآن التعبير بالصورة عن المعاني التي أراد إثباتها في نفوس وعقول المتلقين ؛ عبرت الصورة الحسية المعتمدة على التشبيه ، والاستعارة ، والمجاز ، والكناية في تشكيل تلك الصور البديعة والمؤثرة في المتلقي .

ثالثًا: إن القرآن الكريم أبعد ما يكون عن التركيز على البهرجة اللفظية، مع أنها عند البشر وسيلة جمالية لتحسين اللفظ ، فالألوان البديعية ، كالمقابلة ، والجناس ، ومراعاة النظير، ونحوها لا تذكر في كتاب الله إلا كملحظ بياني يوضح المعنى ويقويه .

رابعًا : من أساليب التعبير القرآني ، التي يستهدفها البحث ، أساليب الخبر ، التي أسهمت في إظهار جمال المعاني البلاغية في تلك النصوص القرآنية.

خامسًا : إنّ معرفة الأساليب الإنشائية ، أسهمت في معرفة الفرق بين الجملة الإنشائية والجملة الخبرية ونتج عنها صورة بلاغية لأهم الصفات والمقاصد في عينات البحث .

خامسا : إنّ التزيين المعنوي الذي حفلت به النصوص القرآنية موضوعة البحث جعلت المتأمل في هذا التصويرَ البليغ يرى حقيقةَ الدنيا ومآلها ؛ كَيْ لا يصبِحَ الناس عبيدًا لها.

سادسا : إن القرآن الكريم يعطي مَنْ نظر فيه وتدبر آياته خزائن العلم المكنون بغير حساب ، ويفتح الله على الناظر فيه من ألطافه ما يَجِلُّ عن الوصف .

Abstract

Spiritual Adornment in the Quranic Expressions

An extracted research from PhD thesis

By

Basim Muhammad Ali Al- Samarae

University of Tikrit/ College of Education for Human Sciences

This is a rhetorical research that talks about the spiritual adornment in the Quranic expression for the adornment and beauty verses in the Holy Quran. Also it refers to the revelation of the rhetorical imagery in the spiritual

adornment and its denotations and the use of that image for the realization of thought and the expansion of the imagination in the kingdom of the One who says to anything "Be and it is"; the One who raise the seven skies and adorns them with the stars for beauty.

الهوامش :

(١) سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى(٢٧٩ هـ) ، تحقيق: احمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وابراهيم عطوة عوض ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الابي الحلبي – مصر ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، عدد الأجزاء: ٥ ، ج ٥ : ١٧٥ .

(٢) سنن الترمذي ، ج ٥ : ١٧٢ .

(٣) جماليات المفردة القرآنية ، احمد ياسوف ، دار المكتبى ، دمشق ، عدد الأجزاء: ١ ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م ، ج ١ : ٨٢ .

سنن الترمذي، ج ٤ : ٥٧٣ .

(٥) التصوير الفني ، سيد قطب ، دار الشروق :٥٦ .

(٦) المصدر نفسه

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، ج ١٨ : ٣١ .

جامع البيان في تأويل القرآن ، ج ١٨ : ٣١ .

معالم التنزيل ، ج ٥ : ١٧٤ .

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن ، ج ١٩ : ٤٨٣ .

(١١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩ هـ) ، دار المعارف ، ط ٣ ، عدد الأجزاء: ١ ، ج ١ : ٤٢٩ .

(١٢) تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ : ٤٧٣ .

(١٣) البحر المحيط في التفسير ، ج ٦ : ١٣٤ .

مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم الميداني النيسابوري(ت ٥١٨ هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، عدد الأجزاء : ٢ ، ج ١ : ١٢٣ .

صحيح مسلم ، ج ٢ : ٨٩٤ .

جامع البيان في تأويل القرآن ، ج ١٩ : ١٧٧ .

ينظر :التحرير والتنوير ، ج ١٨ : ٢٣٥ .

(١٨) الهوامل والشوامل ، علي بن محمد بن العباس التوحيدي(ت ٤٠٠ هـ) ، تحقيق: أحمد أمين وأحمد صقر ، ط ١، لجنة التأليف والنشر والترجمة ، القاهرة : ٤٣ .

(١٩) جماليات المفردة القرآنية ، احمد ياسوف ، ج ١ : ١١٥ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩ هـ) ، دار المعارف ، ط ٣.
- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، ط ١٤٢٠ هـ .
- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ .
- التصوير الفني في القرآن – سيد قطب
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- جامع البيان في تأويل القران ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، حقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
- جماليات المفردة القرآنية ، احمد ياسوف ، دار المكتبي ، دمشق ، عدد الأجزاء: ١ ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .